

الفصل السادس  
كيف نجحت الثورة

## شخصية "جمال"

بدأت الثورة- إذن- واللواء "تجيب" لا يعلم..

وانطلقت رصاصات جنود "عبد الحكيم عامر" حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة في ثوان.. وبقوادها.

لقد كان بين الذين وقعوا في قبضة الثورة في لحظاتها الأولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه...!

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتاً طيباً، كما وفر علينا جهوداً ضخمة في نفس الوقت، فبعد أن علم "جمال عبد الناصر" بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضاً أن تقف جميع العمليات التي سيقوم بها الضباط الأحرار يوم 22 يوليو.. أى تقف الثورة ويبقى النظام..!

وهنا تتضح شخصية "جمال" كقائد.. إنه لا يتراجع.. إنه يصمد.. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة وإخمادها.. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة في مبنى رئاستهم، وبهذا يوفر التنظيم جهوداً ضخمة في الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد في منازلهم.. كل على حدة!

لقد اصطاد "جمال" عصافير عديدة بحجر واحد.. أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجئ "جمال" بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم- اليازباشي "محمد شديد"- نحو مراكز تجمع قوات الضباط الأحرار.. وظن "جمال" أن تلك القوات أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة للقوات التي ستحشدتها لإخماد الثورة..!

وتتضح الحقيقة.. ويعرف "جمال" أن اليازباشي "شديد" جاء بتلك القوة التي تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة، فقرر أن يشترك بجنوده في المعركة قبل موعد بدئها بساعة..!

وكانت تلك المفاجأة مكتملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من "حسين فريد" في مبنى الرئاسة..!

واتخذ قراراً في الحال بعد وصول قوة الضابط "شديد" بأن تتوجه نفس القوة برئاسة "عبد الحكيم عامر" وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل..!  
وفعلاً قام "عبد الحكيم" وهو يشهر مسدسه، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة، وانتصر التنظيم في المعركة الأولى، وقد كانت أول معركة حاسمة، تكسبها الثورة..!

وقد قتل في تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين..!

كان كل واحد من الضباط الأحرار يحتل مكاناً معيناً في أرض العملية وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة.. ولعل "جمال عبد الناصر" كان الوحيد الذي ليس له مكان يستقر فيه.. كان يطوف بأرض العملية كلها..

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة أركان الحرب وقواده كان "جمال" قد انتهى من طوافه، واطمأن على نتائج الضربة الأولى فتوجه إلى مبنى رئاسة الجيش وجلس في المكتب... ثم دق جرس التليفون بعد وصول "جمال" بقليل، وكان المتحدث هو اللواء "عبد الله النجومي"..

وسمع "جمال النجومي" يسأل عن "حسين فريد" رئيس هيئة أركان الحرب..

ورد عليه "جمال" بأن الباشا يقوم بجولة تفنيشية!

وسأل "النجومي" عن اسم من يتحدث إليه، فقال له "جمال" إنه الضابط النوبتجي!

و"النجومي" كان يتحدث من الإسكندرية ليطمئن على الموقف.. وسمع "جمال النجومي"

يقول له:

"حسين فريد" وهو بيكلمني من شوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت..!

ورد عليه "جمال" في هدوء:

- لا.. مفيش حاجة أبدا!

## "رشاد مهنا" مرة أخرى

وفى الساعة الثانية من صباح 23 يوليو بلغت من القاهرة إشارة النجاح- المتفق عليها إلى جميع وحدات الجيش خارج القاهرة.. فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الأحرار..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ إشارة النجاح يسيطر الضباط الأحرار على القوات فى الحال.

وفى العريش ورفح كان "صلاح سالم" و"جمال سالم" قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة... بمن معهما من ضباط أحرار...

فى تلك اللحظة وبعد أن سيطر "جمال سالم" على قوات العريش ورفح توجه "جمال سالم" إلى "رشاد مهنا"... وكان وقتذاك فى العريش كما سبق أن قلت, وطلب "جمال سالم" من "رشاد مهنا" أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن "رشاداً" كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش, إلا أنه تردد أيضاً فى هذه المرة مثلما كان دائماً يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات!

وبعد أن رفض "رشاد مهنا" أن يتولى القيادة فى العريش, طلب "جمال سالم" من "صلاح حناتة"- رئيس الدائرة الأولى لمحكمة الشعب فيما بعد- أن يتولاها, وفعلاً تولى "صلاح" قيادة لواء العريش بدلاً من "رشاد مهنا"!

## حقيقة تعلن لأول مرة!

أين كان "نجيب" أثناء كل هذا!.. وماذا كان يفعل!.. والساعة كانت الثالثة من صباح 23 يوليو.. وكل شئ كان قد تم بنجاح مدهل, وأقول كل شئ لأن قيادة الضباط الأحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد إبعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الأساس فى عملية قلب نظام الحكم!

وقد تم هذا فعلاً في الساعة الثالثة من صباح 23 يوليو.. وسيطر الضباط الأحرار على جميع قوات مصر المسلحة في القاهرة وخارج القاهرة في تلك الساعة..!

فأين كان اللواء "محمد نجيب" .. قائد الثورة.!

أين كان تلك الساعة.. بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه.. ويذود عنه!

في الساعة الثالثة صباحاً من 23 يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديدة أعنى الضباط الأحرار وبين "محمد نجيب" وهذه حقيقة تعلن على العالم لأول مرة!

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون!

لقد دق جرس التليفون في رئاسة الجيش للمرة الثانية، ورفع "جمال عبد الناصر" السماعه وظن أن المتحدث هو اللواء "عبد الله النجومي" أيضاً.. يريد أن يطمئنه "حسين فريد" على الحالة!

ولكن المتحدث في هذه المرة كان اللواء "محمد نجيب" .. وكان يتكلم من منزله.. وقال "محمد نجيب" بالحرف الواحد:

- "المراعى" اتصل بي من الإسكندرية.. وقال لي روح هي الحالة في رئاسة الجيش.. هيه إيه الحال يا "جمال"!

وإني أنقل هنا ما كتبه اللواء "محمد نجيب" بنفسه في عدد الأهرام الصادر في 23 يوليو عام 1954 ونشرت الجريدة ما كتبه "نجيب" في صفحتها الأولى تحت عنوان.. "قائد الثورة يسجل" ..

قال "نجيب" عن حديث "المراعى" معه بالحرف الواحد:

- دق جرس التليفون في منزلي، وإذا بالأستاذ "مرتضى المراعى" يكلمنى من الإسكندرية ويقول لى: الأولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة.. قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد!

وقلت له: أنا ما عنديش أولاد ولا حاجة!

قال لى: فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة..!

قلت له: أعرف منين الكلام ده, يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم.

فقال لى "المراعى": أنا حا أجيب لك دولة الرئيس "الهالى" باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد إن ما حدش يمسكك..

قلت له: وإزاي أتحقق من شخصيتكم فى التليفون.!

ومرت لحظات وإذا بالتليفون يدق من جديد, وكلمنى الأستاذ "تجيب الهالى" من الإسكندرية وقال لى:

- أنا أستاذك يا "تجيب".. ومستقبل الوطن متوقف عليك, فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة الآن.. الإنجليز سيحتلون مصر, وتبقى مسألة خطيرة فطمأنته وقلت له: "إنى ذاهب لأرى الحالة بنفسى"

أنتهى ما كتبه "تجيب" بنفسه فى الأهرام عام 1954.

والذى لم ينشره اللواء "تجيب" فى الأهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال "المراعى" و"الهالى" به ليلة 22 يوليو.. إنه كان فى منزله.. لا يرى شيئاً ولا يعلم شيئاً.. ثم فى الساعة الثالثة اتصل "بجمال" فى مبنى القيادة- كما قلت- وبعد أن كان كل شئ قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الأحرار!..

وقد رد "جمال" على سؤال "تجيب" بأن وضع له الموقف كله.. وأبلغه- لأول مرة- أن فى الجيش تنظيمًا اسمه الضباط الأحرار, وأن قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت- الآن- على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد!

قال "جمال" "لتجيب" بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح 23 يوليو شارحاً له

الحكاية:

- الضباط الأحرار قاموا بالثورة الليلية.. والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة..  
وإحنا عايزينك تيجي, حانبعتك عربية تجيبك..

وهكذا عرف "تجيب"- لأول مرة- حكاية الضباط الأحرار!

وفى الساعة الخامسة صباحاً.. أى بعد ساعتين من معرفة "تجيب" لحكاية الثورة, وبعد أن عرف أن "جمال" يجلس- الآن- مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش, أقول فى الساعة الخامسة, وصل "تجيب" إلى مبنى رئاسة الجيش.. وفى هذا الوقت كان "عبد الحكيم عامر" جالساً يعد البيان الذى سيداع على الشعب فى الصباح من محطة الإذاعة.

وجلسنا جميعاً فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس.. وكل شئ قد كلل بالنجاح الساحق,  
ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة!

### القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القاهرة, ثم خرج الناس من منازلهم, وامتألت شوارع المدينة  
الكبيرة بهم, وخرج أفراد منا إلى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب, ثم بدأ  
الصحفيون يفتدون إلى مبنى القيادة.. إن الشعب يؤيد ما حدث.. إن الشعب يعلن عن تأييده فى كل  
شبر من البلد, الناس فرحون.. كل الناس.. فقد كانت فرصة العمر!

صحيح أن الشعب فوجئ بما حدث, لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال, فوقف إلى جانب  
القوات المسلحة لإيمانه بأنها تتولى تصفية حساباته مع جلاديه!

إن الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى, كان يرى صوراً  
للشعب مليئة بالأمل والثقة!

إن بائع "الخروب" الذى وزع ما يحمله على الناس مجاناً فى ميدان السيدة زينب, كان  
يعبر بتصرفه ذاك عن إيمان الشعب بما حدث, وأيضاً كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة إلى قيام  
ثورة..

وغير بائع الخروب: مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة  
الشعب بما حدث فى تلك الليلة.. بثورة القوات المسلحة من أجله!

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث 23 يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الأساسية, وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل:

**الأولى: السيطرة على القوات المسلحة.**

**والثانية: السيطرة على البلد..**

**والثالثة: طرد الملك..**

وفى الإسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يتربحان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة.. وربما كانت الحكومة والملك, بل وكل أعداء الشعب.. كانوا لا يتوقعون أن يمضى الجيش إلى أبعد من هذا.. لقد ظنوا أن المسألة لا تعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط تحقيقها, ثم ينتهى الإشكال!..!

**فى أقل من 24 ساعة**

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الأساسية, وربما استغرق وقتاً طويلاً بعد بدء العملية..

لكن ما أن انتصف نهار 23 يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة, بل إن الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضاً!

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة.. أى سيطرة قيادة ثورة يوليو على البلد.. يبدو من فرحة الناس بما حدث.. وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق!

تمت- إذن- مرحلتان من الخطة الأساسية فى أقل من 24 ساعة لقد كانت- فعلاً- معجزة لم نتوقع أن تتم على الإطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جداً!.. ولم يبق إلا مرحلة الثالثة.. طرد الملك!

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية..